الذبيحة

لم يكن عقلها يستوعب تلك الكلمات في سنها الصغيرة.. هزيمة يونيو ثم بعد قليل "التنحي، سمعتْ والدها يهمس باكيا لأمها، "كسر ضهر"..

أنهت لتوها محاولة كتابة روايتها الأولى، في انتظار من سيقرأها. ركبها حزن الكبار وقلقهم، وتشاركت معهم - دون إرادة- نفس الإحساس الغريب عليها بالهزيمة، لم تفهم معنى كسرة الظهر ، ولا حزن الجيران على من فقدوهم في صحراء سيناء

" كل من حولى حزين..؟"

رافقت والدها وأمها، في مشوارهم بسيارة " الشركة" التي امتلأت بعمال وعاملات المصنع، وقاطني نفس المنطقة السكنيه الخاصة بالشركة، كانت تردد معهم في البدايه نفس الشعار

"عد ياجمال"،"عد ياجمال"، ثم بعد قليل أخذتها الحماسة، وظلت تهتف حتى نزل الجميع الى "ميدان المحافظة " في أسوان البلد:

"عد ياجمال"

أحست أن هتافهم وأصواتهم التي بحت لشدة الإنفعال، سوف تعيد ثانية الزعيم، بل وسوف تتغير نتيجة الحرب أيضا ، ويمحو كلمة"نكسة" .

كان غريبا عليها ذلك التناقض الحاصل، بين الشعور المر بالهزيمة، وبين ذلك العرس التي تراه حول ديوان محافظة " أسوان". يهتفون للزعيم القائد رافعين صوره، في كل مكان، يناشدونه العوده عن "التنحي".

لكنها فجأة ابتسمت، ومشت كالمسحورة ناحية عم "آدم" بائع الفول السوداني الذي اعتادت رؤيته، والشراء منه كل صباح على باب مدرستها، كما رأت "عنبر" بائع العرقسوس والناس من حوله تطفئ حر يونيو. اقتربت منها " أم عزيز" التي كانت تراها دائما بعد أداء صلاة الجمعة / حيث يلتقي الرجال والأبناء ينظفون ويزينون المكان حول العمارة المجاورة، وعند المساء يحضرون ماكينة العرض، ونستمتع بالأفلام العربية، التي تعرض بدور السينما بالعاصمة، والمدن الأخرى،

منها أفلام عبد الحليم حافظ وفريد الأطرش، وغيرها. كان هذا انجازا أسبوعيا نحلم به بقية الأسبوع، وننتظره كبارا وصغارا، بينما تدور أكواب الشاي على الجالسين فوق "النجيل" الأخضر، وقطع "الكيك والبسكويت البيتي تجهزه الجارات كما أمها، وتجده يملأ أيدى الصغار، فلا تجعلهم هذه الفرجة الأسبوعية يحسون بأنهم غرباء في مدينةٍ نائية محرومة من الخدمات.

عاد الجميع الى بيوتهم، وعند المساء سمعتْ دقات على الباب، ظنته والدها، الذي كان لايزال يقف يتشاور مع الرجال بالخارج، وحين فتحت رأت خالها الأصغر الذى يعمل مع والدها في نفس الشركة .

كانت حيرتها قائمة لا تزال تسكنها:من سيقرأ روايتي؟

قالت في نفسها أخيرا ظهر لي قارئ..

ولاحظت انتهازيتها، تجسدت أمامها في تحد، فهي لا تحبه لصوته الأجش العالي، وضحكاته الهمجية دون سبب واضح والتي تشبه النهيق بلا مبالغة، وبسببه كانت لا تحب الممثل "شكري سرحان" لأن

ذلك الخال كان يقلده حتى في قصة شعره، ويكثر دهن الفازلين، ويجعل ياقته دائما زيتيه متسخة، بالاضافة لاعتياده رحرحة قميصه من الجانبين مثله، حتى أن غروره المستعار من تشبهه بذلك الفنان، جعله يُقْدم مرات عديدة لخطبة الفتيات، ولأنه كان صغيرا " ويفتقد الجدية " وعديم الامكانات التي تؤهله للزواج،كانوا يرفضونه وكانت حين تعلم تفرح فيه، وتغضب منها أمها لأجله.

لكنها مضطرة الآن لدعوته للقراءة، فهي أكبر الأبناء الثمانية، ولا معرفة للأم بالقراءة والأب دائم الإنشغال ..

بعد تبادل السلام وصلها حواره مع أمها المتعبه، والتي كانت توضب الدولاب فهو قادم من عند "محمـدين" الجزار، وانتظر اكثر من ساعتين حتى انهى الذبح وفاز هو بالكبد.. كبد الخروف، ويريد طهيه. تحينت هي الفرصة وعرضت عليه تبادل الخدمات؛ هو يقرأ روايتها وهي تقوم بطهي الكبد.. هلَّل بصوته الجلف وضحكاته الهيستيرية ووافق:

" اتفقنا ياقمر"

راحت نحو المطبخ وهي متخوفة، وتلعن تسرعها في قبول عرض تلك المقايضة، لكنها انهمكت تسرع في الطهي، حتى تنتهي من تأنيب نفسها.

الصيف قائظ حتى في الليل "انه يونيو" هكذا تطمئن نفسها، وهي ترى مسامات ملحية، تنز من جدران المطبخ المغلق، تحاشيا لتيار الهواء الساخن، تحتار في فهم شدة الحرارة من الجو عن تلك الصادرة عن الموقد وقت الطهي.

العرق يتصبب من كامل جسدها حتى أن جلبابها، كان قد شف على جسدها، وكأنها تحممت بملابسها، والموقد يساهم في زيادة الحرارة، لكنها حمدت ربها أنها كبد ضأن ونضجت سريعا.

أطفأت النار وفتحت الباب وجرت الى غرفتها تغير جلبابها، ثم تناولت الطبق فوق صينيه، واتجهت ناحية الردهة الطويلة التى تنتهي بحجرة الجلوس، يفاجئها صخب إخوتها، ومزاح خالها مع أمها، التي كانت تضحك بشدة، وسمعتها نقول: اللهم إجعله خير.. ولما لمحوها آتية، أزاحوا الأشياء من فوق المائدة، همَّت هي بالإنثناء

لوضع الطبق، لمحت جزءا من غلاف كراستها أسفل المائدة، والجميع لا يزال يضحك، حتى إن أمها كانت تجفف دموعها لشدة الضحك. الأرض منثور عليها قصاصات صغيرة من روايتها .

" روايتى..؟!"

تفاجئت بطلب الأم الهادئ:

" لمي ورقك بسرعة حبيبتي."

لحظتها؛ أحست أنها دا خل صحراء أسوان الشاسعة، يحوطها تلال من رمال متحركة وحشية، تحاول ابتلاعها وأحست لوهلة بالشفقة على نفسها وبالوحدة، رغم كل هذا العدد من الموجودين في البيت.

نظرت لزجاجة الماء الممتلئة، والموضوعة على المائدة، ودون قرار مسبق، أمسكتها من عنقها، وأفرغت ما بها على الجميع حتى أمها وسط تعالي ضحكاتهم.

تزداد الظلمة أمامها، لاترى سوى غضبها وأبطال روايتها الأولى يتمزقون بكل قسوة، وبلا سبب، رغم لومها لنفسها، لكنها أحكمت

كفها على الزجاجة، وضربت بها زجاج الشرفة الكبير بقوة، فتساقط الزجاج المنثور كالمطر فوق الضاحكين وفوق الأرض وسط جري الصغار وسباب الأم وشقيقها، واتهمها الجميع بقلة الأدب بل والجنون.

كل هذه المشاهد مرت أمام عينيها المغمضتين، وهى تحت تأثير "المخدر" المسكن لا تزال، يحاوطها شخوص رواينها الأولى، يبكون معها، يربتون كتفها، ويمسحون عن عينيها دموعها الدافئة التي كانت تفيض على الوسادة و تسيل على جانبي وجهها. أحست بيد أحدهم يسحب شيئا كان مربوطا بوريدها، وعرفت من صوته أنه الطبيب، حين قال لمن بالغرفة: " بعد زوال تأثير المخدر ستكون بخير."